التماسك النصي بين التراث والغرب

تارا فرهاد شاكر
كلية اللغات / جامعة صلاح الدين/أربيل
Tarashakerudc@yahoo.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،أمّا بعد،فإن تماسك النص من الاتجاهات الحديثة في دراسة النصوص اللغوية، وقد تبلورت ماهيته وأسسه في الربع الأخير من القرن المنصرم على يد هاليداي ورقية حسن،ومن تبعهما في هذا المجال،والبحث الذي بين أيدينا يحاول توثيق أسس تماسك النص بين التراث والغرب، ويكشف عن وظيفة هذا الاتجاه الجديد، ويحاول لفت نظر الباحثين إلى كيفية استثمار هذا الاتجاه في البحث اللغوي من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- هل تماسك النص علمٌ جديدٌ حقاً؟

٢- ما العلاقة بين تماسك النص الذي نقرؤه في الكتب الأجنبية،وما فعله العلماء العرب القدماء في تحليل النصوص؟

٣- ما أهداف البحث في تماسك النص؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة في اعتقادنا؛ في أنّها تجاوزت الجملة إطارا نهائيا للتحليل،وجعلت المتلقي شريكاً أساساً لا ينبغي تجاهل دوره في تلقي النصّ وإدراكه،وأنّ الدراسة لم تكن آراء نظرية بعيدة عن روح النص العربي؛بل أُتبعت النظرية بالتطبيق على أفصح وأقدس نص تفتخر به العربية.ولمّا كان المجال التطبيقي للتحليل النصي-خاصّة في الإسهامات الغربية-لم يَتَعدّ النصوص الصحفية،أو المقالات،أو من قريحة مؤلفي هذه الكتب، كانت الحاجة قصوى لاختيار نص أدبي من ناحية،ونص مقدس من ناحية أخرى، وفصيح من ناحية ثالثة، وأهم نص تتوافر فيه هذه الشروط(القرآن الكريم)،ومن ثمّ كان من أسباب اختيار هذا الموضوع كذلك حاجة المكتبة إلى تطبيق أصول هذه النظرية الحديثة على نص مقدّس.

إعتمد البحث بصورة أساس على بعض المراجع العربية القديمة،وبعض كتب المحدثين في علم اللغة، كما اعتمد على عدد غير قليل من المراجع الأجنبية،لكنه تناول بشكل مفصل ما قام به كل من هاليداي ورقية حسن في كتابهما:"التماسك في الإنجليزية"وسالكي في كتابته:"النص وتحليل الخطاب".وقد اتخذنا أسلوب الوصف، والتدرج التاريخي في عرض جزئيات البحث؛ لتكون صورة التغير واضحة.وقسمناه على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وقائمة بأهم النتائج.تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، وأهداف الدراسة،ومنهج البحث، ثم عرضنا في التمهيد بعض المصطلحات التي يتعامل معها البحث وتحتاج إلى توضيح،ثم تحدثنا في المبحث الأول عن التماسك النصي في البحث اللغوي العربي بصورة موجزة،وركزنا فيها على ما يتعلق بأسس التماسك النصي، ثم جاء المبحث الثاني ليقدم ما قام به علماء الغرب في هذا المجال،وفي نهاية البحث سجلنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة التماسك النصي بين القدماء والمحدثين.

الكلمات المفتاحية:التماسك النصي،العقيدة،الأتساق .

Abstract

This paper aims to present the text linguistic cohesion The study is divided into two sections: theoretical study,and applied study Textual Coherence between Heritages and the Occident, One part about study Heritages but second part about study the Occident through strategies of Textual Coherence.

Key Words :Cohesion script , Belief ,Cohesion .

التمهيد:

المصطلحات والمفاهيم الشائعة عند القدامى والمحدثين:تناولنا في هذا التمهيد عدداً من المصطلحات التي يتم استعمالها في النص وتحتاج إلى توضيح وبيان مفهوم كل منها،ومن المصطلحات التي تعامل معها البحث بكثرة (النص– علم النص– علم لغة النص– التماسك– السبك–الحبك).وسوف أقوم بشرح المصطلح بادئا بمعنى اللفظ في المعاجم،وأتبعه بما عرف به في علم اللغة الحديث.

النص:تأتي مادة (نص) لمعان متعددة أهمها الشهرة والوضوح،والتسلسل،والسيادة،والاستقامة والاستواء، وهو معنى الاكتمال، يقول الزمخشري:"الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة،وهي تلتص عليها،أي: ترفعها. وانتص السنام: ارتفع وانتصب.قال مسكين الدارمي:

حتى علاها تامك ... شبّهته وانتصّ فندا

ومن المجاز: نصّ الحديث إلى صاحبه. قال:

ونصّ الحديث إلى أهله ... فإن الوثيقة في نصّه

ونصّ فلان سيّدا: نصب. قال حاجز بن الجعيد الأزدي:

أن قد نصصت بعد ما شبت سيّدا ... تقول وتهدي من كلامك ما تهدي ونصصت الرّجل إذا أحفيته في المسألة ورفعته إلى حدّ ما عنده من العلم حتى استخرجته. وبلغ الشيء نصّه أي منتهاه."[١]

وفي اللسان:"...ومنه قول الفقهاء نَصُّ القرآنِ ونَصُّ السنَّة أَي ما دل ظاهرُ لفظهما عليه من الأَحكام... وانْتَصَّ الشيءُ وانتصب إِذا استوى واستقام قال الراجز:

فبات مُنْتَصًّا وما تَكَرْدَسَا."[٢]

وهكذا أثبتت المعاجم اللغوية معاني عدة لكلمة (نص) منها الاستواء، والاستقامة، ودلالة الألفاظ على المعاني والأحكام.

السبك:السبك في المعاجم يعني جمع الأجزاء المتعددة، والعمل على تأليف هذه الأجزاء؛ حتى تصبح شيئا واحدا متماسكا، جاء في اللسان: "سَبَك الذهبَ والفضة ونحوه من الذائب يسبُكهُ ويسبِكُه سَبْكاً وسَبَّكه ذَوَبه وأفرغه في قالبٍ."[٣] وذكر الفيروزابادي السبك في الكلام، فقال: "ومن المَجاز:كلامٌ لا يَثْبُتُ علَى السبكِ .وهو سَبَّاكٌ للكَلامِ . وفلانٌ سَبَكَتْه التَّجارِبُ.وأَرادَ أَعْرابِيٌ رُقِيَّ جَبَلٍ صَعْبٍ فقالَ:أي سَبِيكَة هذا ؟ فسَمّاه سبِيكَةً لإملاسِه كما في الأَساس."[٤]

السبك في علم اللغة الحديث يعنى به الربط اللفظي[٥]،فالنص عبارة عن وحدة تترابط أجزاؤها عن طريق أدوات ربط صريحة،فالسبك إذن يتعلق بالبنية الشكلية أو السطحية للنص،ويتم السبك عن طريق أدوات تعمل على تتابع الكلمات تتابعا صحيحا من الوجهة النحوية والمعجمية.وبهذا فالمعنى المعجمي للفظ السبك يتقارب مع المعنى الذي اصطلح عليه في علم اللغة الحديث؛إذ يعني في المعاجم ربط الأجزاء المتعددة، والعمل على جعلها شيئا واحدا،وهو نفس ما يطلق عليه في علم اللغة الحديث؛إذ يعني ربط الجمل المتعددة حتى تكون نصا.

الحبك:الحبك في المعاجم يعني الإحكام والإتقان،وتجويد الصنعة،يقول ابن منظور:"الحَبْك الشدّ واحْتَبك بإزاره احْتَبَى به وشدَّه إلى يديه والحُبْكة أَن ترخي من أَثناء حُجْزتك من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان وقيل الحُبْكة الحُجْزة بعينها ومنها أُخِذ الاحْتِباكُ بالباء وهو شد الإزار وحكي عن ابن المبارك أَنه قال جعلت سواك في حُبكي أَي في حُجْزتي وتَحَبَّكَ شد حُجْزته وتَحَبَّكتِ المرأَة بنِطاقها شدته في وسطها وروي عن عائشة أَنها كانت

تَحْتَبِك تحت دِرعها في الصلاة أَي تشد الإِزار وتحكمه قال أَبو عبيد قال الأَصمعي الاحْتِباك الاحتباء ولكن الاحْتِباك شدُّ الإِزار وإِحكامه أَراد أَنها كانت لا تصلي إِلا مُؤْتَزِرةً."[٦]

ويقول الفيروزبادي: "الحبكُ : الشَّدُّ والإِحْكامُ وإجادَةُ العَمَلِ والنّسج وتَحْسِين أَثَرِ الصنعَةِ في الثَّوْبِ يُقال: حَبَكَه يَحْبِكُه ويَحْبُكُه من حَدّىْ ضَرَب ونَصَر حَبكاً:أَجادَ نَسجه وحسَّنَ أَثَرَ الصَّنْعَةِ فيهِ كاحْتَبَكه:أَحْكَمه وأَحْسَنَ عَمَلَه فهو حَبِيكٌ ومَحْبوك يقال:ثَوْبٌ حَبِيكٌ ومَحْبُوكٌ:أَحْكِم نَسجُه وكذلك وَتَرٌ حَبِيكٌ وأَنْشَدَ ابنُ الأعرابي لأبي العارِمِ: فهَيَّأْتُ حَشْراً كالشِّهابِ يسوقُه ... مُمَرٌّ حَبِيكٌ عاوَنَتْه الأَشاجِعُ."[٧]

الحبك في علم اللغة الحديث يعني البنية التحتية لأدوات الربط الظاهرة[٨]؛فهو إذن يتعلق بالعلاقات الدلالية، أو العلاقات غير المنظورة، فيكون في مقابلة مع السبك الذي يتعلق بالدلالات المنظورة أو الشكلية.

إذا كان الحبك في اللغة يعني الشِّدَّة والإحكام والإتقان، وهو يتعلق بالإزار؛ فإن هذا المعنى قريب من معنى الحبك في علم اللغة الحديث، فهو يعني دلالة أدوات الربط، وهو يقترب من معنى السبك الذي يعني ربط النص عن طريق الأدوات، والحبك يعني دلالة هذه الأدوات الرابطة.

التماسك:يأتي التماسك في اللغة مقابلا للتفكك،وهو بهذا يعني الترابط التام،والشدة والصلابة،فقد ورد في أساس البلاغة: "أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك.و(أمسك عليك زوجك) وأمسكت عليه ماله: حبسته، وأمسك عن الأمر:كفّ عنه.وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها.وغشيني أمرٌ مقلق فتماسكت. وفلان يتفكّك ولا يتماسك،وما تماسك أن قال ذلك:وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك. وحفر في مسكة من الأرض: في صلابة."[٩]

وفي تاج العروس:"وفي صِفَتِه صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلّمَ بادِنٌ مُتَماسِكٌ أَرادَ أَنّه مَعَ بدانَتِه مُتَماسِكُ اللَّحْم ليس مُستَرْخِيَه ولا مُنْفَضِجَه،أي إِنَّهُ مُعْتَدِلُ الخَلْقِ كأَن أَعْضاءهُ يمْسِكُ بعضُها بعضًا."[١٠]

وفي اللسان:"المَسِيك من الأَساقي التي تحبس الماء فلا يَنْضَحُ وأرض مَسِيكة لا تُنَشِّفُ الماءَ لصلابتها وأَرض مَساك أيضًا. "[١١]وعلى هذا سائر المعاجم، فلفظ التماسك فيها يتوجه إلى الدلالة على الصلابة والمتانة، وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

أمَّا اصطلاحاً فهو مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية Cohesion،وقد وقع في ترجمته بعض من الاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مُترجمَةً إلى العربية؛فيترجمه محمد الخطابي إلى الاتساق[١٢]،في حين يترجمه تمام حسان إلى السبك[١٣].وتترجمه إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد إلى التضام[١٤]. أما عمر عطاري، فيترجمه إلى الترابط[١٥].ويترجمه عبد القادر قنيني إلى الالتئام[١٦].وبسبب من ذلك ينقله أحمد عفيفي مترجماً إلى ثلاثة مصطلحات معطوفة بأو التنويع هي:السبك،أو الربط، أو التضام،ولكن أحمد عفيفي ينقل مصطلحاً آخر هو Coherence إلى الحبك أو التماسك،أوالانسجام،أوالاتساق[١٧].ويبدو غلبة استعمال مصطلحي التماسك والانسجام في الدراسات النصية،فهذا صبحي الفقي في ترجمة المصطلح الأول يشير إلى التماسك الشكلي، وفي ترجمة المصطلح الثاني يشير إلى التماسك الدلالي أو المعنوي[١٨].

فمفهوم التماسك الشكلي Cohesion،يعني((ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معينة))[١٩]،وهذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالمشكل الدلالي أو المعنوي للنص.

أما مفهوم التماسك الدلالي أو المعنوي فيهتم بالمضمون الدلالي في النص،وطرق الترابط الدلالية بين أفكار النص من جهة، وبينها وبين معرفة العالم من جهة أخرى،ولهذه الجهة الأخيرة أهمية قصوى إلى الدرجة

التي تجعل بعض اللغويين يحدّدون التماسك الدلالي بأنه((شيء موجود في الناس لا في اللغة،فالناس هم الذين يحددون معنى ما يقرأون وما يسمعون))[٢٠].

المبحث الأول

١- بحث النصوص في التراث العربي:

(البرهان في علوم القرآن)للزركشي:لقد حاول القدماء أن يصلوا إلى قيم فنية لنقد النصوص، ولم يكن البحث اللغوي واقفا عند حد الجملة؛ لكنه لم يكن يبحث النص بالمفهوم الذي نتناوله الآن.

إذا كان ما قام به خلف الأحمر وحماد، وغيرهم من الرواة من انتقاء النصوص الجيدة المتماسكة،أو الجيدة السبك كما يذكر الجاحظ يعد مقدمة ونقطة انطلاق لتكوين نظرية لنقد النصوص ودراستها،وبيان الجيد منها؛ فإن ما قام به الزركشي ومن بعده السيوطي يقترب من التطبيق العملي لبعض أسس تماسك النص، ففي البرهان: ((وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى))[٢١].

وكان بعض العلماء يتحرج من الحديث في عملية ارتباط آي القرآن وسوره عملاً بأن النص القرآني يختلف عن كل النصوص،والدارس لهذا النص إما أن يجد الأمر ظاهرا فيزيده إظهارا ووضوحا،وإما أن يكون خفيا فيتركه؛حتى لا يكون الكلام ركيكا.وعلى رأس هؤلاء كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، يقول الزركشي: ((وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها انتهى))[٢٢].

وإذا كان بعض العلماء قد تحرج من الحديث في المناسبة اعتماداً على أن القرآن نزل في عدد كبير من السنين، ونزل منجماً بحسب الوقائع والأحداث في بعض المواقف،ولم ينزل مرتبة سوره وآياته؛فإن بعضهم قد رفض هذا الموقف،ودعا إلى الحديث في المناسبة؛بل عاب على الفريق الأول رأيه،يقول الزركشي:((قال بعض مشايخنا المحققين:قد وهم من قال:لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة.ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له))[٢٣].

لم يكن الزركشي وحده فارس هذا الميدان، فقد كتب البقاعي كتابه المشهور(نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور)في ثمانية مجلدات وكذلك السيوطي في هذه القضية أيضا،((وقال:الشيخ ولي الدين الملوي:قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع

تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له انتهى))[٢٤].

ويقول أيضا:"المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به،فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[٢٥] وقوله:﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢٦] للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك."[٢٧]

لعل السيوطي قد نقل معظم ما قاله في هذه المسألة من الزركشي، فيكاد يكون النص عنده هو النص عند الزركشي،وبينهما فوق مائة سنة. ومع ذلك فحسب السيوطي أنه ذكر فائدة هذا التماسك،أو فائدة المناسبة- مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها،وكذا السورة، ولننظر جيدا إلى قوله:((وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء))[٢٨].

ولعل هذا الذي ذكره السيوطي هو ما يدندن حوله عامة علماء النص في العصر الحديث، أن يصبح النص متماسكا آخذا بعضه بأعناق بعض مترابطة أجزاؤه، كأنه بناء متكامل.

ولم يقف العلماء العرب عند حد الإطار النظري لعملية الترابط والتلاحم هذه؛ بل ذكروا أنواعا من العلاقات في النص،وبينوا كيف تترابط النصوص الصغيرة مكونة النص الكبير في بيان مدهش. لكن يبقى أنهم لم يُكونوا من هذه الملاحظات نظرية لغوية لنقد النصوص،هذا فقط هو ما ينقص عملهم ليكون عملا علميا رائعا. ولا يمكن إنكار جهد الجرجاني في نظرية النظم والتي أشار إليها في كتابه دلائل الإعجاز حيث تُعّدُ نظريةً متكاملةً أغنت اللغة العربية كثيراً.

لقد تناول اللغويون العرب قضايا الترادف، والتقابل،والتكرار بشيء من التفصيل،لكنه ظل على مستوى البحث المعجمي،بمعنى أنهم كانوا مثلا في مجال الترادف يبحثون إمكانية وجود الترادف على المستوى اللفظي،وهل يمكن للفظة أن تقوم بدور لفظة أخرى تمام القيام؟

لم يكن البحث اللغوي قد بدأ ينظر إلى مجال الدراسة النصية،ولم تكن هناك نظرات تسبر غور هذا البحر العميق،بحر النص.لقد قامت الدراسات اللغوية العربية بادئ ذي بدء لصون اللسان عن الخطإ،والحفاظ على اللغة من الضياع.ومن هنا كان البحث اللغوي العربي منصبا على فصاحة الألفاظ والكشف عن جودة هذه

الألفاظ وعربيتها،وبيان دلالتها، وبيان الفروق الدلالية بين اللفظ واللفظ الآخر.وأيضا كان البحث العربي من الجانب الآخر منصبا على ضبط اللسان من اللحن،والحفاظ على النطق العربي نطقا صحيحا،فضبط بنية الكلمة، وضبط بنية الجملة.

وإلى هذا الحد كان البحث العربي اللغوي في أقصى درجات الروعة والعظمة، فقد حقق الأهداف التي من أجلها نشأت علوم النحو،واللغة،والبلاغة.غير أن الأمر وقف عند هذا الحد لفترات طويلة إلى أن تنبه علماء العربية من النقاد إلى حاجتهم إلى تفسير النصوص العربية، وخصوصا القرآن الكريم.

ظهرت آراء بعض الباحثين من غير المؤمنين تطعن في القرآن الكريم. وقضية الطعن في القرآن الكريم قضية قديمة جديدة،فمنذ أن جاء الإسلام،والطعن في القرآن موجود،فطعن فيه أهل مكة،ثم كل من سمع القرآن ولم يخالط الإسلام قلبه،لكن هذه الموجة قد زادت بانتشار الإسلام في بلاد تتناول البحث المنطقي،واتسعت موجة الطعن في القرآن الكريم بدخول الفرس والروم في نسيج الدولة الإسلامية في عهد بني أمية،وازدادت في عهد بني العباس،وهنا انبرى علماء المسلمين من أهل اللغة يردون على الطعون التي وجهت إلى القرآن.

في الحقيقة صاحب الشيء لا يستطيع أن يرى كل ما فيه من جمال أو غيره حتى يرى غير هذا الشيء، أو ينبهه غيره إلى ذلك– والقرآن منزه عن أن يكون فيه غير الجمال والعظمة،فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه_ لكن الطاعنين قاموا بدور المنبه لعلماء المسلمين إلى بعض القضايا التي لم تشغلهم وهم يتلون كتاب الله تعالى، ويقومون بتفسيره،من هذه القضايا قضية التكرار،فاتخذها الطاعنون ميدانا للطعن في القرآن الكريم، على أساس أن القرآن إذا كان نصا مقدسا من عند الله تعالى،فكيف تتكرر فيه بعض الآيات بعينها؟ وكيف تتكرر أحداث القصة الواحدة في مواضع متعددة؟واتخذوا من هذا التكرار دليلا على أن القرآن من عند محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– فهو بشر،ومن طبيعة البشر النسيان، ولذا فقد نسي بعض ما قاله في موقف،فأعاده في موقف آخر،وهكذا.أيضا رأى هؤلاء الطاعنون أن في التكرار عيبا في صياغة النص.

وهنا انبرى علماء المسلمين للرد عليهم في صراع جدلي بذل فيه كل فريق ما في وسعه للاحتجاج لقضيته، وبالطبع انتصر المسلمون في الرد على هذه الشبهات والأباطيل التي روجها الطاعنون في القرآن والإسلام.

ما يعنيني في هذا المقام هو أن البحث في قضية التكرار في القرآن أو غيره من النصوص قد نشأ بهدف الدفاع عن بلاغة هذه النصوص،ولم ينشأ من أجل البحث اللغوي،ومن هنا كان الكلام عن التكرار هو أنه مزية تزيد الكلام حسنا،وتعطيه قيمة ويؤكد السيوطي في حديثه عن التأكيد أن التكرار من الأساليب المعروفة عند العرب، وأنه من محاسن الفصاحة؛خلافا لمن غلط.(٢٩)

ولأن الهدف من دراسة التكرار في القرآن الكريم كان هو الدفاع عنه ضد طعن الطاعنين، وشبهات المشككين، فقد انقسم العلماء والباحثون إزاء هذه الظاهرة قسمين،قسم رأى أن التكرار مزية يمتاز بها النص القرآني، وأكد أن هذه الظاهرة موجودة في القرآن الكريم،وقسم رأى أن التكرار غير موجود من الأصل في القرآن الكريم،وأن كل لفظ تكرر في موضع مختلف عن الموضع السابق له إنما حمل دلالة أخرى غير الدلالة الأولى، ومن ثم فالتكرار إنما هو تكرار في اللفظ لم يستتبع تكرارا للمعنى،فليس هناك تكرار على الحقيقة في كتاب الله تعالى.وإليك ما ذكره الزركشي في هذه القضية، يقول:"واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى:﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ&ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)﴾٣٠ إن الثانية تأسيس لا تأكيد لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال: وفي {ثُمَّ} تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول."٣١

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح "الخلاصة"أن الجملة التأكيدية قد توصل بعاطف ولم تختص بثم وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص وليس كذلك فقد قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣٢]،فإن المأمور فيهما واحد كما قاله النحاس والزمخشري والإمام فخر الدين والشيخ عز الدين ورجحوا ذلك على احتمال أن تكون "التقوى" الأولى مصروفة لشيء غير "التقوى" الثانية مع شأن إرادته.

وقولهم:إنه تأكيد فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء لا أنه تأكيد لفظي ولو كان تأكيدا لفظيا لما فصل بالعطف ولما فصل بينه وبين غيره: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾[٣٣].

ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن الهدف من بحث العلماء العرب والمسلمين ظاهرة التكرار إنما كان الدفاع عن النص القرآني ما يقرره الزركشي وغيره في كتب علوم القرآن،فيقول الزركشي:((قلت:إن قلنا:العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر.

وقد تكلف لتوجيه العدة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة قال الكرماني جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت نيفا وثلاثين مرة لأن ست عشرة راجعة إلى الجنان؛لأن لها ثمانية أبواب،وأربع عشرة منها راجعة إلى النعم والنقم.فأعظم النقم جهنم ولها سبع أبواب وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب،وسبع عقب كل نعمة ذكرها للثقلين.

وقال غيره:نبه في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة أمهات النعم، وأفرد سبعا منها للتخويف وللإنذار على عدة أبواب المخوف منه، وفصل بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء؛ إذ اتصلت بقوله:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٣٤]، فكانت خمس عشرة، أُتبعت بثمانٍ في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها،ثم بثمانٍ أُخر في وصف الجنتين اللتين من دون الأوليين لذلك أيضا، فاستكملت إحدى وثلاثين.

ومن هذا النوع قوله تعالى:﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٥]، في سورة المراسلات عشر مرات؛لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة ويل للمكذبين بهذه القصة! وكل قصة مخالفة لصحابتها فأثبت الويل لمن كذب بها. ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها وجعل للكفار في مقابلة كل مثل من الثواب ويل.

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ&وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٣٦] في ثمانية مواضع لأجل الوعظ فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحد))[٣٧].

المبحث الثاني

النص في اللغويات المعاصرة: لقد اختلف علماء النص في تعريفهم إياه[٣٨]، ولسنا بصدد عرض آرائهم هنا في تعريف النص، لكننا نعرض فقط ما يعرف بالنص من وجهة نظرنا، فالنص رسالة لغوية أبدعت في ظروف موقفية واجتماعية معينة، هذه الرسالة تترابط أجزاؤها، وتتضمن معنى يريد المبدع نقله للمتلقي، وبهذا فهي تتضمن هدفا، وتراعي في الوقت نفسه ثقافة المتلقي وأحواله النفسية والاجتماعية.

ونحن بهذا نميل إلى قبول تعريف دي بوجراند النص بأنه حدث تواصلي يجب أن تتوافر فيه معايير هي: السبك cohesion،وفيه يتحقق الترابط الرصفي Sequential connectivity،والحبك أو الالتحام coherence[39]، والقصد Intentionality،وهو ما يسعى منشئ النص إلى تحقيقه، والقبول، أو المقبولية Acceptability، وهو ما يتعلق بموقف المتلقي من النص من حيث القبول أو الرفض، والموقفية،أو رعاية

الموقف Situationality، وتتعلق بمناسبة النص للظروف المحيطة بعملية التواصل، والتناص Intertextuality،وتتعلق بعلاقة النص بنصوص أخرى سابقة على إنشاء هذا النص، والاخبارية أو الإعلامية Informativity،وتتعلق بموقف المتلقي من تصديق المعلومات الواردة في النص.وعليه التماسك في علم اللغة الحديث يعني التلاحم بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه، فيصبح نسيجا واحدا،تتحق فيه علاقات القصد والخلفية المعرفية بالمبدع والمتلقي.[٤٠]

التماسك النصي في الدراسات الغربية:

التماسك النصي عند اللغوي الفرنسي جان ميشال آدم:

تعرضت خولة طالب الإبراهيمي في كتابها(مبادئ في اللسانيات)[٤١]، الى أهم القواعد المبدئية التي اقترحها اللغوي الفرنسي جان ميشال آدم لإرساء أسس نظرية متكاملة[٤٢]، تحدد هذه المبادئ إطار التحليل النصي اللساني وهي مبنية على ثلاث فرضيات، ويتفرع عن بعضها فرضيات جزئية أخرى:

الفرضية الأولى:الطبيعة النصية لممارستنا الكلامية أو الخطابية:

السلوك الإنساني في المجال الرمزي وخاصة منه الرمزي اللغوي يطبع بطابع النصية:

يستنتج من ذلك–آدم–أنّ الجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية بل النص وحدة التبليغ والتبادل، ويكتسب النص انسجامه من خلال هذا التبادل والتفاعل، ينبغي إذاً أن نتجاوز إطار الجملة لنهتم بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.

١–**لتتداول النصوص في المجتمع**:ينبغي أن تتوافر لدى المتكلمين ملكة نصية تجعلهم قادرين على فهم(إدراك) وإحداث نصية كلامية.من هنا تتأكد ضرورة توسيع الملكة النصية العامة التي تسمح بإدراك نصوص لا متسقة ومترابطة وإنتاجها كذلك.

٢–**لا تتوافق ملكة المتكلمين بالضرورة:** ويؤكد آدم هنا على تلقي النصوص وتفاعل القارئ المستقبل لها إذ يمكن أن تتوافق أهدافه مع أهداف مؤلف النص، كما يمكن ألا تتوافق فقد يصير النص الأصلي نصا آخر عند التلقي والقراءة ليناسب معتقد ومعارف وأهداف المتلقي وهنا تبرز الفضاءات الذهنية وهي مساحة المعارف والمعتقدات المشتركة بين المؤلف والمتلقي وقوامها الترابط والانسجام.

النص ليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل...النص كلّ تحدّه مجموعة من الحدود تسمه بالنصية؛ بصفته كتلة مترابطة بفعل العلاقات النحوية التركيبية بين القضايا وداخلها،وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعوائد المختلفة...ولا تستقيم نصية القطعة إلا بانسجامها ويتم الكشف عن الانسجام بإدراج النص ضمن سياقه؛ حيث البعد التأويلي يضمن تقريب المسافة بين النص ومؤلفه ومتلقيه كذلك.

الفرضية الثانية : شروط وقوام النصية الترابط والانسجام:

١–**النصية نتاج تشكل مزدوج مقطعي وتداولي** : وتعتبر هذه الفكرة محورية في مشروع آدم؛ أما مفهوم المقطع فيُمفصل النص إلى مقاطع بفعل التنظيم والتنقيط والشكل،والأهم بفعل علامات لغوية معينة إلى مقاطع إذ يصبح المقطع الوحدة النصية الصغرى، أما توجه النص التداولي؛ فيحدده غرضه وتَحُدُّه العلاقات التي تربطه بمحيطه الخطابي والمرجعي العام.

٢–تنازع النص نزعتان، نزعة للتجدد، وأخرى للتكرار والاستمرار.

الفرضية الثالثة : ضرورة التمييز بين نصية محلية وأخرى عامة :

لترابط النص علامات خاصة تميّزه في بعده الجزئي والكلي.أمّا البعد الجزئي أو الميكرونصي فهو يخضع للترابط المحلي ومن علاماته:العلاقات النحوية المنطقية، وترتيب الموضوعات...أمّا البعد الكلي للنص أو الماكرونصي

فيكون بين المقاطع الميكرونصية والنص بمجمله، والمتجانسات والنظائر الدلالية،والعملية التأولية كلها عناصر تضمن ترابط النص.

التماسك النصي عند يول وبراون(١٩٨٣): يطرح الباحثان يول وبراون في كتابيهما"تحليل الخطاب" جملة من العناصر على محلل الخطاب أن لا يغفلها وكلها تساهم في بناء تماسك النص، وقد لخّص محمد محمد خطابي عناصر التحليل النصي بناء على اعتمادهما الوظيفة النقلية والتفاعلية للغة؛ لأن هذه الوظيفة في رأيهما أساس الوظائف الأخرى للغة، كما لا ينفي الباحثان باقي الوظائف[٤٣].

التماسك النصي في الدراسات العربية الحديثة:

التماسك النصي عند سيد قطب: إذا عدنا إلى مؤلفات التفسير فإننا نلاحظ أن التفاسير التي اعتمدت الوحدة النصية منطلقا لها نادرة جدا، ولعل السمة البارزة لكتب التفسير القديمة باستثناء محاولة السيوطي في كتابه "أسرار ترتيب القرآن؛ هي تفسير الآية الواحدة ثم الانتقال إلى الأخرى دون البحث عن الخيط الناظم للآيات في السورة الواحدة حيث تتم معالجة كل آية منفصلة عن الأخرى؛ معالجتها لغويا ونحويا وبلاغيا...للوصول إلى مراد الآية فقط. ويعد الأستاذ قطب من المفسرين–قدماء ومحدثين– الذين تنبهوا إلى التماسك النصي ونتائجه في تفسير القرآن، واستطاع من خلال ذلك أن يخرج تفسيره"في ظلال القرآن"؛ فقد وُفّق سيد في إدراك اطراد الظاهرة–التماسك بين الآيات والمقاطع والسور في القرآن– بعد مدارسة طويلة لكتاب الله تعالى.يرى الأستاذ عبد الفتاح الخالدي أنّ" سَيّد قطب سيدُ هذه الساحة وقُطبُ رحاها، لأنّه قدّم لنا–في الظلال– السور والآيات كلبنات وحلقات متراصة في النص القرآني المتناسق المعجز"[٤٤].

ولعلّ الأسباب الآتية كانت وراء اهتداء سيد للظاهرة؛ كما يُرجِّح الأستاذ عبد الفتاح الخالدي:

العقيدة:إذ هي الأصل والأساس الذي تنبثق منه سائر التصورات والمبادئ والمناهج،وهي المحور الذي تشد إليه جميع الفروع والجزئيات، وهي الموضوع الأساس في القرآن الكريم الذي يربط سائر موضوعاته ومعانيه.

حياته الطويلة التي قضاها في ظلال القرآن،ومداومة إمعان النظر فيه،وتدبر معانيه، والتعمق في فهم أسراره ومراميه، والغوص إلى حقائقه وأغراضه، والوقوف على النظام الدقيق المتين الذي يشد آياته وسوره.

ثقافة سيد قطب الأدبية؛وموهبته الشعرية، وقدرته وتجربته النقدية[٤٥]،ويبدو التماسك كما قدّمه سيد في تفسيره الظلال؛ كالآتي:

*التماسك بين السورة والسورة. وحديثها؛ فإننا نلفي تفاوت الاهتمام بالتماسك كما يأتي :

– التماسك بين دروس السورة الواحدة التي تلتقي لتحقيق هدف السورة وغرضها، وتتناغم في إبراز شخصية تلك السورة.

– التماسك بين مقاطع الدرس الواحد كجزئيات تكمل موضوع ذلك الدرس.

– التماسك بين آيات المقطع الواحد كأفراد تلتقي وتكمل بعضها لتبرزه مقطعا متماسكا.

–التماسك بين كلمات الآية الواحدة وجملها، لتكوّن لبنة متكاملة من لبنات النص القرآني المعجز[٤٦].

وقد أثبت سيد قطب نظريته في التماسك النصي في كل السور، ففي بداية سورة الأعراف–مثلا–يقول : "إنّ كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميّزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة...إنّها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثمّ تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذه الغاية...إنّ الشأن في سور القرآن كالشأن في نماذج البشر التي جعلها الله متميزة : كلهم إنسان، وكلهم له خصائص الإنسانية، وكلهم له التكوين العضوي والوظيفي والإنساني...ولكنهم بعد ذلك نماذج منوعة أشدّ التنويع،

نماذج فيها الأشباه القريبة الملامح، وفيها الأغيار التي لا تجمعها إلاّ الخصائص الإنسانية العامّة.هكذا عُدْتُ أتصوّر سور القرآن، وهكذا عدت أحسّها، وهكذا عدت أتعامل معها،بعد طول الصحبة،وطول الألفة، وطول التعامل مع كل منها وفق طباعه واتّجاهاته، وملامحه وسماته"[٤٧].

لقد طبّق سيد رؤيته تلك في كل سور القرآن التي تبدو بصورة واضحة جلية اتخذها منهجا سار عليه في ظلاله، ففي مطلع تفسيره لسورة البقرة، على سبيل المثال، وعلى الرغم من أنّها أطول سور القرآن، وأنّها ضمّت آيات عديدة، وأنّها نزلت منجّمة في فترة زمنية طويلة، وبقيت مفتوحة عشر سنوات تقريبا[٤٨]، حيث إنّ منها ما نزل في أوّل العهد المدني، وإنّ آخر آيات نزول القرآن هي من بين آياتها، وعلى رغم من أنّها تحوي عدّة موضوعات...إلاّ أنّ"المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطّان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا...فمن ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية... وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أوّل نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض".[٤٩]

التماسك النصي عند محمّد خطّابي : يؤسس محمد خطابي خطابه النقدي في دراسة التماسك النصي على ثنائية؛ تستلهم المكونات التراثية، وتستبعد ما تجاوزته المرحلة...كما تستفيد من المنجزات اللسانية والنقدية الغربية المعاصرة. يعرض محمّد خطابي مظاهر النص؛ وطبيعة انسجامه، كما جاءت في اللسانيات الوصفية، ولسانيات الخطاب، ونظرية تحليل الخطاب،ومنجزات العلم في مجال الذكاء الاصطناعي، وكما تجلّت في أعمال(فان ديك)التي ينسجم الخطاب فيها كالآتي:الخطاب ويتفرع إلى وظيفتين؛ دلالية وتداولية، وتحوي الوظيفة الدلالية العناصر الآتية:الترابط، والانسجام،والبنيات الكلية.أمّا الوظيفة التداولية فتضم : السياقات، والأفعال الكلامية، وقد عزّز الباحث دراسته بأعمال الرواد في مجال علم اللغة النصي أمثال (هاليدي ورقية حسن) في مؤلفهما:الاتساق في اللغة الإنجليزية(Cohésion in English)،ومثلما استفاد البحث من اللسانيات الغربية في مجال تحليل الخطاب، استفاد كذلك من تراث الدراسات العربية؛ كالبلاغة، والنحو، والنقد الأدبي القديم، وعلم التفسير،وعلوم القرآن؛التي أثبت من خلال بعضها أن ما قدمته من آليات نصية يرقى إلى ما قدّمته اللسانيات النصية المعاصرة، ومن خلال تلك المزاوجة حاول الباحث تأسيس لسانيات نصّية عربية تحاور النص العربي بالاستفادة من كل تلك المعطيات.

لقد كان هدف الأستاذ محمد خطّابي البحث في كيفية انسجام الخطاب الشعري؟ وقد اقتضى منه ذلك التنقيب عن قواعد نصية لا تلغي التراث برمّته، ولا تستنسخ كل معطيات الحضارة الغربية اللسانية والنقدية استنساخا سمجا،واستطاع من خلال هذه الرؤية استنتاج قواعد نصية عامّة تنسجم والنص العربي، وختم الباحث آراءه النظرية، بالبحث التطبيقي عن كيفية انسجام النص في قصيدة"فارس الكلمات العربية"لأدونيس.[٥٠]

التماسك النصي عند صبحي إبراهيم الفقي:

ينطلق الأستاذ صبحي في كتابه"علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"من إعجاب كبير بالمدرسة "النصِّية" أحدث مدرسة تَعدّت في تحليلها اللغوي؛النُّظم التي اتّبعتها المدارس الأخرى أين انصبّ اهتمامها على الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى...لقد اتّخذت المدرسة"النصية""النَّصَّ"مجالا للتحليل كإطار أوسع من الجملة التي

يُعَدُّ الوقوف عندها قصورا في التحليل النصي؛إذ لا يمكن دراستها منفصلة عن سياقها اللغوي المتمثل في البنية اللغويةالكبرى"النص."

قسّم الأستاذ صبحي كتابه إلى أربعة فصول يبدو بصورة واضحة أنّها تدور حول التماسك النصي، الذي يُعدَّ أهم مظاهر التحليل النصي.في الفصل الأول عرّف الباحث النص،وعلم اللغة النصي وأهم المصطلحات

المتعلقة به، وأفرد الفصل الثاني للتماسك بَيَّن مفهومه وأهميته، وعلاقة السياق والمتلقي بالتماسك؛ وأثرهما في تكييف التماسك، ثمّ قدّم نظرة القدماء للتماسك، وفي الفصل الثالث تناول الباحث دور الضمائر- الشخصية،الإشارية،الموصولية- في التماسك وأهمّيتها عند علماء العرب وعلماء النصية المحدثين،وأتبع كل ذلك بفصل حاول فيه تطبيق المبادئ النظرية على سور مكية أبرز من خلالها أهمية الضمير في إحداث التماسك النصي،وأما الفصل الرابع فخصّه للتوابع وأهمّيتها عند علماء العربية وعلماء النصية،وختم هذا الفصل أيضا بالتطبيق على سور مكية بيّن فيها أهمية التوابع في الربط بين أجزاء النص.

النتائج:بعد هذه الرحلة الزمنية- الطويلة نسبيا-وهذا العدد من الصفحات- القليل نسبيا أيضا- يمكنني أن أقرر أن أصول التماسك النصي ليست حديثة، لكن الجديد هو الكشف عنها، ومحاولة توظيفها بشكل عملي؛ فقد كان عندعلماء العربية القدامى حس لغوي صحيح، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي، وكان يمكن لمن جاء من بعدهم أن يستثمر هذه الرؤية ويطورها فتصل في النهاية إلى حد النظرية العربية في اللغة والنقد؛ غير أن من جاء بعد هؤلاء العظام اكتفى بأن يكرر ما قالوه بفهم أو بغيره.

لقد حاول القدماء أن يصلوا إلى قيم فنية لنقد النصوص، ولم يكن البحث اللغوي واقفا عند حد الجملة كما يحلو لبعض الباحثين المحدثين أن يصوره؛ لكنه لم يكن يبحث النص بالمفهوم الذي تناولهاه به.

إذا كان ما قام به خلف الأحمر وحماد،وغيرهم من الرواة من انتقاء النصوص الجيدة المتماسكة، أو الجيدة السبك كما يذكر الجاحظ يعد مقدمة ونقطة انطلاق لتكوين نظرية لنقد النصوص ودراستها، وبيان الجيد منها؛ فإن ما قام به الزركشي ومن بعده السيوطي يقترب من التطبيق العملي لبعض أسس تماسك النص.

وعليه فإنَّ التماسك النصي علم قديم في أصوله جديد في أسلوبه، وهو الامتداد الطبيعي لعلم النحو. وكان اللغويون العرب القدماء على وعي ببعض أصوله.

الهوامش:

١- أساس البلاغة: مادة(نصص)٢/٢٧٥.

٢- اللسان: (نصص)٧/٩٨.

٣- لسان العرب، (سبك) ١٠/٤٤٠.

٤- تاج العروس، (سبك) المكتبة الإلكترونية لموقع روح الإسلام.

٥- انظر: نظرية علم النص: ٧٨، ٧٩.

٦- اللسان، (حبك):١٠/٤٠٧-٤٠٨.

٧- تاج العروس، (حبك) المكتبة الإلكترونية لموقع روح الإسلام.

٨- يُنظر: نظرية علم النص: ١٢٧.

٩- أساس البلاغة: مادة(مسك)٢/١٨٠.

١٠- مادة(مسك) المكتبة الإلكترونية لموقع روح الإسلام.

١١- مادة(مسك) المكتبة الإلكترونية لموقع روح الإسلام.

١٢- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥-٦.

١٣- النص والخطاب والإجراء : ١٠٣.

[١٤]- مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفانج دريسلر : ١١.

[١٥] - الخطاب والمترجم : ٣٣٢.

[١٦] -النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : ١٩٧.

[١٧] - نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:٩٠.

[١٨] - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٩٦ .

[١٩] - مقدمة في اللغويات المعاصرة :٢٠١.

[٢٠] - معرفة اللغة :١٤٦.

[٢١]- البرهان: ١/ ٣٦، والمناسبة تعني الارتباط، فمناسبة الآية لما قبلها تعني مدى ارتباطها بها واتصالها، وهي إجابة للسؤال: لمَ جاءت هذه الآية بعد تلك أو قبلها؟

[٢٢]-البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٧.

[٢٣]- البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٧ .

[٢٤]- الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٦٩، ٣٧٠.

[٢٥]- سبأ/٢.

[٢٦]- البقرة/٢٤٥.

[٢٧] - الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٧١، ٣٧٢

[٢٨] - الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٧١، ٣٧٢.

[٢٩]- الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٢٤.

[٣٠]-التكاثر/٣-٤.

[٣١]-البرهان: ٣/ ١١، ويُنظر:الكشاف:٤/٦٢٨، وأسرار التكرار في القرآن:٢٢٤.

[٣٢]-الحشر/١٨.

[٣٣]-البرهان: ٣/ ١٢.

[٣٤] -الرحمن/ ٢٦.

[٣٥] -المرسلات /١٥.

[٣٦] - الشعراء/ ٨-٩.

[٣٧] -البرهان، ٣/ ١٩، ٢٠

[٣٨] - يرى رافائيل سالكي أن النص والخطاب مترادفان، وهما يفيدان ما فوق الجملة المفرة، يقول:

A quick note on terminology. Some linguists distinguish between text and discourse, using text to mean what one speaker or writer says, while a discourse for them has two or more speakers/writers interacting. In this book the two terms are used interchangeably to refer to any stretch of language that may be longer than a single sentence, and which therefore may have structural properties which go beyond the

scope of grammar. For the sake of simplicity we shall usually use the word text. Look: Text and Discourse Analysis, P: XI

وقد جمع عدد من الباحثين عددا كبيرا من هذه التعريفات ، ويمكن مراجعة مثلا: نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص:٢٢: ٣١، وعلم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص:١٠٠: ١١٦، وقد تناول بعض الباحثين معايير جودة النص بالتحليل في أعمال علمية كاملة، انظر مثلا: نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، وعلم لغة النص: النظرية والتطبيق.

[٣٩]- يلاحظ أن Cohesion, Coherence and Cohesive يتم استخدامها بمعنى التماسك، وقد ترجمها كثير من الباحثين بصور مختلفة، فترجم cohesion على أنه السبك، وترجم coherence على أنه الحبك، غير أن كتب تحليل الخطاب في اللغة الإنجليزية تستخدم هاتين اللفظتين مترادفتين. أو على أن بينهما عموما وخصوصا، انظر :Text and Discourse Analysis, Cohesion in English وغيرها.

[٤٠]- انظر : Text and Discourse Analysis, Cohesion in English, P: XI

[٤١]- مبادئ في اللسانيات:١٦٨-١٧٢.

[٤٢]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب:١٤.

[٤٣] - المنهج الحركي في ظلال القرآن: ١٥٢.

[٤٤]-م ن: ١٥٥.

[٤٥]-م ن:١٥٦.

[٤٦]- في ظلال القرآن٣/١٢٤٣.

[٤٧] - يُنظر: المنهج الحركي في ظلال القرآن:٤٥.

[٤٨] - في ظلال القرآن:١/٢٨.

[٤٩] - لسانيات النص:٩-٣٨٤.

المصادر والمراجع:

❁ القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن،السيوطي، أبو بكر جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمربن أحمد(ت ٥٣٨هـ)،تحقيق:باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٨م..

أسرار التكرار في القرآن،محمود بن حمزة بن نصر الكرماني،دراسة وتحقيق:عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار التراث، تونس، ١٩٨٣م.

البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت ٧٩٤هـ)تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط،١ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بمصر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

البيان والتبيين،الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) تحقيق:عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، مصدر الكتاب:موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com،المكتبة اللغوية الإلكترونية: http://www.islamspirit.com

الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) تحقيق:عبد السلام هارون، ط٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

الخطاب والمترجم، باسل حاتم و إيان ميسون، ترجمة د. عمر فايز عطاري،جامعة الملك سعود،الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ /١٩٩٨م.

دلائل الإعجاز، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن(ت ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٤م

رسائل الجاحظ، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) المكتبة الشاملة.

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي،الجزء الأول،دار قباء،القاهرة ،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الحادية عشر، بيروت ، لبنان، ١٩٨٥م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي، مكتبة مصر.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر-بيروت، ١٩٥٥م،المكتبة اللغوية الإلكترونية: http://www.islamspirit.com

لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب،محمد خطابي،ط١،المركز الثقافي العربي،بيروت-الدار البيضاء،١٩٩١م.

مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفانج دريسلر)، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، الطبعة الثانية . ١٩٩٩م.

معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة أ .د محمود فراج عبد الحافظ، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

مقاربة في مفهوم النص والتماسك النصي عمران رشيد www.odabasham.com.net

مقدمة في اللغويات المعاصرة، شحدة فارع وآخرون ،ط١، دار وائل للنشر ، عمان ، ٢٠٠٠م.

المنهج الحركي في ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الشهاب، الجزائر، ١٩٩٨.

نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ط١، متبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

النص والخطاب والإجراء،روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان،ط١، عالم الكتب،القاهرة،١٤١٨هـ /١٩٩٨م.

النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب . بيروت ، ٢٠٠٠ م.

نظرية علم النص، فرج، حسام أحمد، ط١، مكتبة الآداب بمصر ، ٢٠٠٧م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري،(ت ٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

Text and Discourse Analysis, Raphael Salkie, London and New York, 1995.